السنوسية والجامعة الاسلامية (*)

(حقائق نافع بيانها)

لعله يظهر للقارئ من المقالة التي ترجمتها الجريدة من قلم ضابط انكليزي له اطلاع على أحوال أفريقيا الاسلامية ان الاوربيين غير غافلين عن سير المسلمين في سائر شؤونهم وجميع أقاليمهم وانهم يظنون من الاهتمام ببعض الدين لهم زعامة دينية وبكل ما هو مظنة القوة والاجتماع ما يبين للسامع ان رابطة صغيرة بين جماعة قليلة من المسلمين ترى في نظر الاوربيين غولا يخشى اغتياله ويجب ان يحال بينه وبين النمو لئلا يكون شره مستطيراً

والامثلة على ذلك كثيرة نكتفي منها الآن بما يقوله هذا الكاتب الانكليزي الذي ترجمته «الجريدة» قال:

« وقل ان ترى في أوربا من يعلم شيئاً كثيراً عن هذا المذهب حتى لو سمع معظم الاوربيين كلمة «سنوسية» لما فهموا شيئاً مع انها لفظة لها في آذان فاهميها وقع شديد ومعنى مرهب . وما يعلم عن هـذا المذهب وان قل ينبئ باتشار نفوذه وقوته وانه على مضادة للاوربا لا يبعد ان يكون السبب في اخطار واهوال ربما افضت الى كسح العنصر الابيض من أفريقية كما تنبأ بذلك الدكتور كارل بيتر وهو محق »

ان هذا الكاتب الانكليزي قد عظم من هول زعامة السنوسي تعظيماً جعله يستدبر الصواب استدباراً ويراه قد عزا لهذه الطائفة كل حركات عروق المسلمين في قلوبهم واحشائهم ولا يستطيع الواقف على حقيقة الحال الآن ان يغيب في العجب اذ يراه يقول ان مصر من جملة البلاد التي يسري فيها نفوذ السنوسي وانها تحركت بأصابع من هذا النفوذ فيا للعجب متى تحركت مصر وكيف تحركت وما هي حركتها وابن هو سلك الاتصال بين حركتها والكهربائية السنوسية ولكن ليست مصر وحدها في الانجذاب الى هذه الكهربائية على رأي الكاتب بل كل حركات

(*) نشرت (الجريدة) ترجمة مقالة لضابط انكليزي تكلم في السنوسية والجامعة الاسلامية كلاماً ما خيالياً فعقب عليه السيد عبد الحميد الزهراوي المحرر بالجريدة بهذه المقالة

قلوب المسلمين عموماً وأفريقيا المسلمة خصوصاً فهو يقول :

« ولا ينكر أحد ما يشمل الاقطار الافريقية المسلمة وغيرها من السخط العام الآن واليك شاهداً على ذلك حرب الصومال والحركة المصرية وثورة زيلع والقلاقل التي في مستعمرة المانيا الجنوبية الغربية وحوادث شتى بالشاطئ الغربي خطوب صغيرة لكنها تنذر بالخطب الاكبر والداهية الدهياء . ثم اضف الى ذلك مسألة المغرب الاقصى ومصاعب فرنسا في شمال أفريقية والحركة الاثيوبية (الزنجية) في الجنوب »

ويقول في مكان آخر « يظهر ان الاضطراب الذي جرى بمصر حديثاً كان سببه دعاة الطريقة السنوسية هناك وان كان السنوسيون لم يريدوا ذلك الهياج ولم يستحسنوه لمجيئه قبل أوانه ولذلك لم ينهضوا بتغذية الفتنة التي اتجوها » ويقول في الختام « وخلاصة القول ان السخط بين أهالي أفريقية عام تام فشرارة واحدة تضرم النيران من أقصى أفريقية الى اقصاها وفي زعمي ان السنوسية هي مصدر الشرارة التي لابد ان تصيب لغم السخط المستقر في صدور الاهالي »

ان امثال هذه الكتابة تدعونا الى ان نفكر ونستقصي بالبحث عن تفاسيرها . ولا يظهر لنا من خلال المذاهب المتعددة في تفسير هذا الاهتمام الذي يظهره هؤلاء الكتاب الا ان القوم مضطرون لهذا السهر والتجسس على شؤون البلاد التي ملكوها والتي يطمعون ان يملكوها فهم قد عرفوا ان القوة بالتضام والاتفاق ويريدون ان يقطعوا من البلاد التي يطمعون بها كل أرومة للتضام ويحرصون على ان يجتثوا كل سنخ للقوة . وقد زعموا ان الطريقة التي عليها السنوسي هي أرومة عظيمة تجمع المسلمين الناقمين على أوربا وان هذه الجماعة التي حوله سيكونون يوما جيشا جرارا كالجراد يقف في طريقه كل نابتة من الاوربيين

إما أن تكون هذه المزاعم مصطنعة لتعظم الحكومات الاوربية في أعين شعوبها هول « الخطر الاسلامي » كي تكون تلك الشعوب راضية عن كل فتك بهذه الشعوب ليقطعوا دابر كل تعاطف وتعارف وتعاطف حتى يكونوا اقداذا متقطعي الاطراف مشرفين على الانقراض من غير رثاء وإما أن تكون قائمة في أذهانهم خطأ أو اصراراً في سوء الظن أو تكبراً في تخيلاتهم من مظاهر التآخي

الدين . وخليق بنا على كلا الرجلين أن لا نمر بهذه المسئلة متجاهلين هذه المزاعم التي عليها يلبسون صرحا من سياسة الاسراف بسوء الظن . والكلام في روح هذه المسئلة وهي الرابطة الدينية والجامعة الاسلامية تدور حوله اغلاط كثيرة تقع من باحثينا و باحثيهم والاغلاط منشأ سوء التفاهم ومنشأ التنافر الذي ما برحنا نراه يشتد في عهد كنا نظنه يتقلص فيه . فلذا رجحنا اليوم أن نخوض غمار هذا البحث غير رامين الا الى تجلية الحقائق التي نعلمها وكلامنا ان لم ينفع في دوائر السياسة ينفع في دوائر العلم التي يطوف حولها الشرقي والغربي متصافحين ونرجو أن يأتي يوم تعلو فيه الحقيقة في هذه المسئلة على المزاعم — مصطنعة كانت أم خطأ —

(١)

الغلط في الجامعة الاسلامية

مركز الدائرة في هذه المسئلة هي الجامعة الاسلامية وقد شغف كثيرون من الباحثين منا ومن الاوربيين ببلوغ الحقيقة في هذه النقطة فأبت على أكثرهم واستعصمت بحجب من التشابه فعمى السبيل على الطالبين واقتسموا فرقا وسلكوا مذاهب أعظمهم الذين اعترفوا بأنهم لم يروا وجه الحقيقة ومنهم من وصف الذي شبه له زاعما انها هي الحقيقة . والذين اشتهروا الوصف والبيان ولم يطيقوا ان يظهروا العجز من بعد البحث والنظر قد اختلفت أقوالهم فمنهم من يثبت وجود هذه الجامعة ومنهم من ينفيه . والمثبتون منهم من يشتم به ومنهم من يثمن ومنهم من لا يبغي عليه املاً . ومنهم من لا يرجس منه وجلا

لكن يظهر من الفصول والمقالات الكثيرة التي قرأناها الكتاب الأوربيين ان في أوربا كلمة واحدة عامة بوجود هذه الجامعة وان فيها خطرا على المستعمرات الاوربية أوقد تكون عائقا عظيما يوما ما عن بلوغ أوربا أمانيها من ابتلاع كل بلاد المسلمين ابتلاعا تاما . ويؤخذ هذا بأن من يقول غير هذه الكلمة منهم هو من الشاذين

والكتاب المسلمون بميل أكثرهم الى تصديق هذا الحدس الاوربي وتغذي أقلامهم بان المسلمين كثيرون وكلهم في الدين اخوان وان مستقبلهم حسن واسعة

كثرتهم وجامعتهم الدينية وعلى شيء من هذا بنى السيد توفيق البكري كتابه « مستقبل الاسلام »

والغريب في الامر ان أكثر الباحثين في « الجامعة الاسلامية » يتون فيها الاحكام من غير ان يقرلوا لنا ماحقيقتها وماتاريخها . أفذلك لشدة وضوحها أم لأنها ليس لها صورة حقيقية واحدة فهي تصور كما يقوم خيال الكاتبين

(٢)

— حقيقتها —

ماالجامعة الاسلامية الا اتفاق في كلمة واحدة وهي أن القرآن كتاب الله جاء به محمد رسول الله ولكن المطلع على تاريخ المتفقين هذا الاتفاق يعلم أنه لم يدفع عنهم الاختلاف الذي لا اتفاق معه بعد فمنذ اختلف المسلمون ثلمت جامعتهم ولم يتفقوا اتفاقا سياسيا بعد عهد عمر ولا اتفاقا دينيا بعد عهد علي . فما هي جامعة قوم مختلفين منذ ثلاثة عشر قرنا اختلافا سياسيا واختلافا دينيا يقتل بعضهم بعضا ويستحل بعضهم على بعض بأهل الملل المخالفة من الاساس . ماهي جامعة قوم لم يخل يوم من أيامهم من قتال فئة منهم فئة أخرى منذ مقتل خليفتهم الثاني الى يومنا هذا . ماهي جامعة قوم يسير ملوكهم المختلفون بذهاب ممالك ملوك آخرين منهم . ماهي جامعة قوم حدثنا التاريخ من حديثهم ان أجنبيا شرقيا (هولاكو) أكتسح بلادهم وهم في عزهم فلم تضام أيديهم على مقاتلته وكانت لاتزال قوية على قتال بعضها بعضا . وحدثنا التاريخ من حديثهم أن أجنبيا غربيا (الصليبيين) هاجم بلادهم فلم يجتمعوا كلهم على طرده حتى حركت الهمة طائفة منهم قويت وحدها على صده

الجامعة التي يلغطون بها هذه هي : « صورة مكبرة في خيال الأوربيين منتزعة من دعوى المسلمين الأخاء الديني . وصورة محبوبة في خيال المسلمين منتزعة من حس الحاجة الى مثلها على رأيهم » ثم قد أصبح لهاتين الصورتين خيال في الوجود قام عليه الحساب الحاضر فالأوربي يقول يجب محو هذا الخيال لئلا يصير شبحا حقيقيا هائلا ويذهبون في محوه مذاهب كما بينا في كتاباتهم المتنوعة المختلفة . والمسلم

يقول يجب جعل هذا الظل شبحا حقيقيا ليكون بهيئته حاميا حقوقنا أجمعين وهذه عظم تثبت المسلمين هذه السنين الأخيرة بعد هذه الجامعة الاسلامية بدلالة على التضامن والترابط ولكن لا يمنع هذا شيئا ما دام الاختلاف الديني والسياسي قاضيين أن يدوم قتيل المسلمين بعضهم بعضا ويقعد بعضهم عن نصرة الآخر . ولو تدبر الأوربي والمسلم لالتفتا الى أمر نافع غير هذا لأن الظل لا يصير شبحا . لو تدبر الاوربي لعرف أن الجامعة الاسلامية تدحض الاسراف في ابادة ملك المسلمين ولعرف المسلم أن هذه الجامعة لا تنفع حتى يقوم العلم الصحيح عند هم مقام التقاليد وتكون الجامعة يومئذ جامعة قومية

(٣)

— السخط العام من الأوربيين —

لو تدبر الأوربيون لعلموا أن السخط العام الحقيقي الذي يرونه ويسمعون به ليس ناشئا من الجامعة الاسلامية بل هو ناشئ من سوء الادارة وهو يجر الى هياج الشعوب نفسها باسم الخلاص من الظلم لا باسم الدين ويشهد التاريخ أن شعوبا كثيرة هاجت على حكوماتها نفسها باسم الخلاص من الظلم لا باسم الدين فاذا لم ينتظر الأوربيون من المسلمين الذين تحت حكمهم هياجا الا باسم الدين فانهم سوف يجنون من سوء نتائج هذا الخطأ على تعادي الأيام

(٤)

— خطر الجامعة الاسلامية —

وعندي أنه ان صح أمر الجامعة الاسلامية لا ينتظر منها الشر الذي ينذر به كتاب الأوربيين الا أن يكون الشر عندهم هو ضد المطامع وايقافها عند حد . ولماذا لا ينتظرون الا الشر من قوم كان لهم دول عظيمة فلم يسيئوا الى بني آدم كما ينتظرون منهم الآن

(٥)

— السنوسية —

أما السنوسية فطائفة في الصحراء بين طرابلس ومصر ملتفون حول شيخ

طريقة في الارض كثير من أمثالها وأمثاله . واضع هذه الطريقة هو السيد أحمد بن ادريس وهو رجل من صوفية المغرب وعلمائه رحل الى اليمن وتوفي فيها وهو شيخ الاستاذ المرغني المشهور وشيخ الشيخ ابراهيم الرشيدي وشيخ العلامة السيد السنوسي «محمد علي» المولود عام ١٢٠٤ في مستغانم وقد طلب العلم في فاس ثم رحل الى مكة فلقي أحمد بن ادريس فأخذ عنه التصوف وخلفه في الطريقة واحب أن يؤسس له مركزا في الحجاز فلم يساعد على ذلك فغادر الزاوية التي بناها في جبل أبي قبيس (عند مكة) ورحل الى طرابلس الغرب سنة ١٢٥٥ ﻫ ونزل في الجبل الاخضر وبنى هناك عدة زوايا ثم رجع الى الحجاز سنة ١٢٦٣ فأقام بمكة سبع سنين يقرىء الحديث فنافسه وزار مصر عائدا من الحجاز فاجله عباس باشا المقدوني اذذاك وهرع الناس لزيارته. ولما كثر مريدوه في صحراء ليبا أراد أن يتنزل البلاد التي فيها الأمر والنهي لحكومات معروفة فأرشده مريدوه الى جنوب لرتها ووجود الماء هناك فبنى زاوية عام ١٢٧٣ ﻫ وأقام فيها بين عربان البادية الى أن توفي عام ١٢٧٦ ﻫ فخلفه ابنه السيد محمد المهدي السنوسي وقام مقامه بنشر الطريقة وازداد عدد المريدين على عهده هذا ودخل في مريديه ملك وداي فلذلك أصبح مقامه في تلك الجهات كمقام الملوك لأن مريديه يجبونه عن طيب نفس المفروض عليهم من زكوات اموالهم وهو يصرفها على اللاجئين الى تلك الزوايا من الضعفاء والمرابطين وابناء السبيل

وكل من عرف السنوسية حق المعرفة يعتدهم على قيامهم في كبد هذه الصحراء بما ينفع بني آدم من المؤاخاة وتقليل الشرور بين القبائل وايواء ابن السبيل وتعليم الجاهل وارشاد الضال فلماذا لا يترقب كتاب الأوربيين من هؤلاء الا كل شر وهم قوم قد بعدوا جهد استطاعتهم عن هذه السياسات المبنية على مالا حظ له من العلم . ولا ذنب لهم الا شبه قوة على الدفاع

هذه حقيقة السنوسية لا ما زعمه الكاتب من أنها جمعية سياسية في لباس ديني تتربص بالأوربيين يوما عبوسا قطريرا يكون شره من سيوفهم وبنادقهم مستطيرا

هذا ولقد حاول جلالة السلطان استدعاء السنوسي الى الاستانة بايعاز من

سياسة أوربية فلم تنجح هذه الدعوة ولم تكن نتيجة البعثة التي بعثت لهذه المهمة الاتبادل التحيات والهدايا فالسنوسية في معزل عن هذه الامور ولا نظن بالسيد السنوسي شيخ هذه الطائفة اليوم انه يبغي من وراء هذه الحركة الدخول بنفوس خلق الله الى المذابح البشرية وأبعد شيء عن الصواب زعم الكاتب وأمثاله ان الفروض الدينية هي التي تحمل على ابادة غير المسلم وهذا منتهى الجهل بالتاريخ وقانا الله سوء نتائج الجهالات

عبد الحميد الزهراوي

﴿ الجامعة الاسلامية ﴾

كتب رفيق بك العظم الشهير بمباحثه التاريخية والاجتماعية رسالة في الجامعة الاسلامية أشرنا اليها في الجزء الماضي ووفاء بالوعد نقتبس منها ما يأتي

هل صحيح ما تقوله أوربا

﴿ عن الجامعة الاسلامية ﴾

علمت أيها القارئ من هذا التمهيد ان الاجتماع يستدعي بطبيعته وجود الروابط القومية والوطنية الخ وان الغرض من هذه الروابط حفظ التوازن بين قوى المجتمعات الانسانية الميالة الى المغالبة بحكم الانانية والطمع وان أقل هذه الروابط تأثيرا في المجتمعات رابطة الدين وان المسلمين لم تجمعهم هذه الجامعة يوما حتى ولا على التعاون على دفع الكوارث الكبرى التي حلت ببلاد الاسلام من هجمات أهل الصليب والتتار ولو اجتمع المسلمون امام أمثال هذه المجامع الكبرى سواء في ذلك الوقت أو الآن أو كل زمان لأتوا عملاً تستدعيه طبيعة الوجود لا صبغة فيه ولا مؤاخذة عليه الا اذا محيت من صفحات الوجود قوانين الروابط الاجتماعية بحكم الاخوة الانسانية والمساواة العامة بين افراد البشر وأقوامهم ولا يكون هذا الا اذا استبدل البشر بخلق آخرين من جنس الملائكة المطهرين

اذا تقرر هذا فاعلم ان دعوى القائلين بخطر الجامعة الاسلامية المتوقع بعناه

الذي يريده أولئك القائلون مدفوعة من وجوه

الوجه الاول : ان الجوامع الجنسية غالبة عند الامم وأخصها الأمة الاسلامية لهذا نرى المسلمين قد مزقهم الاوربيون وتشاطر ملكهم الدول المسيحية دون أن يمد بعضهم يد المعونة الى بعض باسم الدين والجامعة الاسلامية لغلبة العصبية الدينية وتخاذلهم المعروف الناشئ عن تفاسد أمرائهم الذين أعماهم الجهل وحب الذات والانانية الباطلة حتى عن الاعتصام بالجوامع السياسية التي تقضي بها أحيانا المصالح المتحدة بين دول الارض

الوجه الثاني : ان المسلمين ولو اجتمعوا باسم الدين لمناهضة دول أوربا فلا يكون اجتماعهم خطرا على المدنية كما يذهب اليه سياسيو الغرب بل يكون وفاء بحق القومية ورجوعا الى الاعتصام بالرابطة العامة التي يمكنها أن تقابل رابطة الدول المسيحية الغربية التي اجتاحت أغلب ممالك الاسلام وكانت خطرا كبيرا على حياة المسلمين السياسية وقد أبنا فيما سبق ان قوانين الاجتماع الطبيعية تقضي على الشعوب بالذود عن مجتمعها والذب عن استقلالها مالم يصبح البشر كلهم في حقوق الانسانية والتمتع بثمرات الحياة سواء

الوجه الثالث : أن القول بالجامعة الاسلامية واتحاد الاسلام وغير ذلك من الالفاظ الوضعية التي أراد واضعوها ابتدار صدور الأمم على المسلمين انما هي من موضوعات السياسيين في هذا العصر لم ترد في تاريخ الاسلام وليس لها في الدول الاسلامية شأن غير سياسي أصلاً وهو شأن الدول القائمة والأمم الناهضة في كل عصر وعلى تقدير ان هناك ما يدعو الى الظن باتحاد المسلمين في هذا العصر فنشأوه اتحاد أو باعث اكتساح ممالك الاسلام واستعباد المسلمين فليسموا اتحاد المسلمين بازاء اتحادهم الاتحاد الديني أو الجامعة الاسلامية أو الشرق والغرب أو ماشاؤا من الاسماء أفليس معنى ذلك كله ان المسلمين يريدون الاعتصام بجامعة كبرى تقابل اجتماع الدول المسيحية على اهتضام حقوق الامم الاسلامية

من العجيب أن الدول الاوربية التي تسوغ لنفسها الحق بالاستيلاء على الممالك الشرقية والقضاء على حياة المسلمين السياسية لا تسوغ للمسلمين الحرص على هذه

الحياة بأن يحموا بقوة الاجتماع والتآلف ذمارهم ويصونوا من عبث العابثين استقلالهم وان ينادي ساستهم أن في وجود الجامعة الاسلامية خطرا على أوربا وبصراحة أوضح على سياسة دولها الموجهة الى تدويخ الممالك الاسيوية والافريقية ولا يجوز أن يقول المسلمون أن في وجود الجامعة المسيحية الاوربية خطرا على الممالك الاسلامية مع تحقق الخطر من قبل هذه واتفاقه من قبل تلك

ان ساسة الغرب يوهمون العالم أن الجامعة الاسلامية خطر على المدنية لا صطباغها بصبغة دينية مع أنها خير على المدنية وأرجى لنفع الانسانية لو قام بها المسلمون وإليك البيان

﴿ الاسلام والجامعة الاسلامية ﴾

من المعلوم بالضرورة أن معنى الدعوة الى الدين هو ربط أفراد كثيرين وأقوام عديدين بعقيدة واحدة فالأمة التي تدين بدين واحد مسوقة بضرورة المشاركة في الاعتقاد الى المشاركة في العواطف وهذا هو الارتباط الديني الذي قلنا أنه كباقي الروابط طبيعي بين البشر مادام لهم دين أو أديان والاسلام من هذه الوجهة كباقي الأديان الا أنه يمتاز بأمرين جديرين بالنظر والاعتبار وهما تنوهه بشأن الارتباط الأخوي بين المسلمين ارتباطا خاصا ثم الارتباط الانساني بين الناس كافة ارتباطا عاما وما جاء في الأمر الأول قوله تعالى في القرآن الكريم (إنما المؤمنون اخوة) وقوله (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وفي الحديث النبوي (المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم) وفي الحديث أيضا (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) ولقد كانت رابطة التعاون والاخاء عقيدة من عقائد المسلمين وان تناسوها ولم يعملوا بها الا قليلا

ومما جاء في الأمر الثاني في الرابطة الانسانية قوله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وفي الحديث (لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى) (١)

(١) أين هذا مما يعتقده الاوربي من أنه أفضل البشر وأسماهم

وأنت ترى من هذا أن الاسلام له رابطتان رابطة العواطف التي يشترك بها كل أرباب دين ورابطة التعاون والأخاء التي يدعو اليها بالفعل الا أنه بين معنى هذا التعاون في أنه على الخير دون الشر وعلى البر بالناس دون العدوان عليهم لكي يكون ارتباطهم بجامع الاخاء الديني واجتماعهم عليه غير مقصود به العدوان بل المحاسنة والاحسان وصرح بمنع قوله بالاجتماع وعدم التفرق محمول على ما تستدعيه حالة الاجتماع من لزوم حفظ البيضة وكف الايدي العادية عن المجتمع وهذا ضروري للمجتمعات كما أشرنا اليه في التمهيد

ثم لكي لا تكون جامعة الدين سبباً للعدوان مع الآخرين بل ومعينة الى التدرج في مدارج الانسانية في أعم مظاهرها وهي المساواة العامة بين أفراد البشر وأقوامهم فيما تقتضيه حقوق الانسان على الانسان من الكرامة وحسن الجوار وتبادل المنافع والاعمال التي جعلت الانسان مدنيا بالطبع أي محتاجاً الى التعاون مفتقراً بعضه الى بعض قال الله تعالى ارشادا للمؤمنين الى ذلك (يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) الآية

هذه هي الوحدة الدينية التي يدعو اليها الاسلام أفلا يرى المنصفون من كل قبيل أن الجامعة الاسلامية التي يوهم ساسة الغرب العالم المسيحي خطرها على المدنية اذا اصطبغت بصبغة الدين هي خير للمدنية من أن لا تصبغ بهذه الصبغة (٢) وأن فرض العقول عند الطوائف الاسلامية تأبى بما هو شر على المدنية مع تكرر نفوس المسلمين لهذا العهد لما تأتى به دول أوربا لمضادتهم ومضادة دولهم من أساليب المكر والخديعة توصلا لاستهلاك حقوقهم وسلب استقلالهم ووطء بساط ملكهم حيثما كان

اللهم ان المسلمين ما وقف بهم في لج الحيرة ووقف بهم عن السير مع الامم الراقية في سبيل المدنية الصحيحة وكشف ما بينهم وبين الامم المتمدنة فرموهم بكل قبيحة ونالوهم بكل سوء الا انفصام عروة وحدتهم الدينية والخروج عن

(٢) ان حزب الاصلاح الاسلامي الداعي الى اصلاح الدين هو الذي يريد مثل هذه الوحدة ويدعو اليها لما فيه من التقارب بين الشعوب

قانونها الجامع الذي يرمي الى غرض الاجتماع الصحيح والمدنية الفاضلة ويريد الشعوب على توحيد الكلمة لضرورة القيام على شؤون الحياة المدنية وانما يتحقق معنى الحياة في قوم أعزوا جانبهم وذادوا عن حوضهم وكانوا يدا على من ناواهم واقسطوا في المعاملة الى من عداهم وهذا ما يريده الاسلام

من الظلم أن يمثل ساسة المغرب الجامعة الاسلامية بصبغتها الدينية في صورة ينكرها الاسلام ويأباها العدل ولا تنطبق على نص من نصوص الدين كما رأيت وحسبك من الدين والتاريخ دليلا على أن الاسلام لا يحض أهله على الجامعة الا ليكونوا يدا على من ناواهم وأن يقسطوا الى من سواهم وان افترق عنهم في الدين مالم يبادئهم بالعدوان ويردهم السوء . إن بعض القرشيين من المشركين كانوا يؤذون بعض المهاجرين من ذوي قرابتهم في المدينة فلا يقابلون عليهم ولا يحسنون اليهم لما عرفت به قريش من الشدة على المسلمين والاصرار على الشرك فنزلت في تنبيههم الى أن الدين لا يمنع من الاحسان الى غير أهله مادام غير مناوئين للمسلمين هذه الآية (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين)

وهذا التسامح الذي عرف به الاسلام ونبه عليه القرآن هو الذي سد كل منفذ من منافذ الاغراض السياسية التي تفسد نظام الاجتماع وتفرق وحدة الانسانية وتلقي العداوة والبغضاء بين بني الانسان فلم يستطع زعماء السياسة في الدول الاسلامية جمع الشعوب الناشئة في البسيط الاسلامي على كلمة الاسلام بقوة الاكراه ولم يسعهم أن يعاملوا مخالفيهم في الدين بضروب من العنت تلجئهم ولو الى الهجرة والجلاء عن بلاد بسط عليها الاسلام جناح سلطانه وآخر من نعهد انه حاول ذلك من ملوك المسلمين السلطان سليمان العثماني فانه لما رأى شغب المسيحيين في ولاياته الأوربية وتوالي خروجهم عن الطاعة وعلم ان بقاءهم على النصرانية خطر على تلك الولايات استفتى علماء عصره في اكراههم على الاسلام فأبوا أن يفتوه بذلك وكان ما توقعه ذلك السلطان من الخطر على تلك البلاد فضلاً عما لاقته الدولة العثمانية من التعب والنصب في سياسة أهلها ولم تزل تلافيه فيما بقي منها في حوزتها الى الآن

ان السياسيين وأهل الانانية المتوحشة في أوربا الذين يرجفون بخطر الجامعة الاسلامية لا يرون ان من الخطر على المدنية والعبث بنظام الألفة الانسانية والوحدة البشرية اضطهاد المسلمين الذين تحت كنفهم وارهاقهم بضروب من الاذلال والاهانات قصد القضاء عليهم واستئصال شافتهم باسم السياسة ويرون ان من الخطر على المدنية وجود جامعة إسلامية تعامل باسم الدين مخالفيهم في السياسة والدين معاملة الاكفاء في الانسانية والشركاء في الوطنية كما سبق بيانه أفليس في هذا ما يدعو الى الحكم على رجوع الانسانية القهقري وهدم المدنية الى الوراء حقا ان هذه (السياسة) المطلقة من قيود الانسانية والوجدان ومن قيود الحق والعدل تشبه في تشكلها حكايات الغيلان الواردة في أساطير الأولين وتماثيل إله الشر عند اليونانيين فالسياسيون اذا ساقوا الشعوب الى الدمار وقتلوهم بالسيف والنار قالوا انها السياسة واذا وطئوا بأقدامهم الحقوق وامتهنوا الشرائع اتهموا السياسة واذا أخطأوا خطأ يجلب على بلادهم الدمار وعلى دولتهم العار تدرعوا بالسياسة وبالجملة حيثما سنحت لهم سانحة شر قدموا امامهم السياسة فالسياسة عندهم (كالجسم المرن) قابلة للتشكل بأشكال الأهواء التي تنبعث في نفوسهم وتدعوهم اليها اطماعهم ولهذا لما استباحوا لجامعتهم الأوربية المسيحية السياسية اضطهاد الجامعة الاسلامية في ملكها ودينها وأهلها ورأوا أن يأتوا لهذا العهد على البقية الباقية أخذوا يصيحون بخطر الجامعة الاسلامية تمهيدا لمقاصدهم السيئة وتكفيرا عن اجرامهم الى المسلمين أمام العقلاء وانصار العدل والفضيلة من أهل البلاد الأوربية ولسوف يعلمون أنهم مخطئون اهـ

(المنار) ويلي هذا فصل في الرسالة عنوانه « أوربا والجامعة الاسلامية » فيه كثير من الحقائق التاريخية والعبر